



The Operation of Memory Discourse in the Iraqi Novel : Dr. Kareem Al-Hashimi's "Yaqeen Al-Matahat" as a case study

Dr. Hawraa Jawad Aboud

University of Wasit / College of Education for Humanities / Department of Arabic Language

Hawraa111@uowasit.edu.iq

07719970277

Received Jun.14, 2026

Revised Jul.14, 2026

Accepted Aug 31, 2026

Online October1, 2026

ABSTRACT

This research aims to analyze the narrative mechanisms and artistic techniques employed by the novelist to present memory. It explores how memory transcends being a mere retrospective discourse of past events to become an act of resistance that constructs the novel's structure, shapes the characters' destinies, and fosters the formation of their diverse identities while decoding the present. Hence, memory holds a pivotal position in the narrative text, serving as an active agent that reconstructs the world and counters oblivion.

Keywords: Operation, Discourse, Memory, The Iraqi Novel, Certainty of Labyrinths

اشتغال خطاب الذاكرة في الرواية العراقية ، رواية (يقين المتاهات) للدكتور (كريم الهاشمي) أنموذجاً

م.د حوراء جواد عبود

جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

Hawraa111@uowasit.edu.iq

الملخص

يهدف هذا البحث إلى تحليل الآليات السردية والتقنيات الفنية التي وظفها الروائي لتقديم الذاكرة ، وكيف تتحول هذه الذاكرة من مجرد خطاب استرجاعي لأحداث الماضي إلى فعل مقاومة يعمل على تشكيل بنية الرواية ويحدد مصائر شخصياتها ويسهم في تشكيل هوياتها المختلفة وتفسير الحاضر ، لذا نجد أن الذاكرة تتبوأ مكانة هامة في النص السردي لتصبح الأداة الفاعلة التي تعيد بناء العالم وتقارع النسيان .

الكلمات المفتاحية: اشتغال ، خطاب ، الذاكرة ، الرواية العراقية، يقين المتاهات

المقدمة:

يعد حضور الذاكرة في النص الروائي أحد أهم المرتكزات التي يلجأ إليها الروائي لتشكيل جماليات السرد وتمثيل العالم الخارجي، فهي آلية ثقافية معرفية تعيد تشكيل التجربة وتحول الوقائع إلى رموز ودلالات تتجاوز حدود الزمن وتفتح للقارئ آفاق التأويل والتفسير، ويعزز أهميتها ما يراه بول ريكو بأنه " ليس أمامنا أنظر من الذاكرة كي نؤكد أن شيئاً قد وقع، قبل أن نشكل عنه ذكرى نحفظها. ولنقل منذ الآن إن كتابة التاريخ نفسها لم تنجح في زعزعة الاقناع الذي يتعرض للسخرية باستمرار، وأن المرجع الأخير للذاكرة يبقى الماضي مهما كان معنى ماضوية الماضي" (ريكور، 2009، صفحة 35). فنجدها تعمل على تفكيك الماضي وإعادة صياغته وكشف علاقة الفرد بالمجتمع، كما تسهم في بناء الهوية الفردية والجمعية للعمل الروائي. ومما يؤكد علاقة الذاكرة بالتاريخ ما ذهب إليه جويل كاندو إن " الاتجاه نحو الذاكرة لدى مجتمعات حديثة يجد منشأه في النظام التاريخاني الحديث، وفي إخماء الصور وضعف الهويات، فالبحث عن الذاكرة يعتبر عندئذ جواباً عن هويات أصابها الضرر وفقدت توازنها " (كاندو، 2009، صفحة 4). استند النص الروائي على الذاكرة كآلية لتقديم المعرفة والحقائق عن طريق استحضار الصور المتعددة لتعزيز المعرفة الوطنية والتاريخية.

تتجلى آلية اشتغال الذاكرة في السرد الروائي عبر استدعاء الماضي وتحويله إلى متخيل فني يتكئ على الاستحضار والتداعي الحر، فضلاً عن الربط بين الأزمنة عن طريق وضع الأحداث المتباعدة جنباً إلى جنب مما يتيح تسليط الضوء على المسكوت عنه وإعادة تفكيكه بصورة واعية، كما تقوم الذاكرة بتمكين القارئ من مقارنة التحولات الاجتماعية والسياسية عبر بيان أوجه التشابه والاختلاف بين المراحل التاريخية المتعاقبة. ومن هذا المنطلق ننطلق إلى صورها المتعددة في الرواية لنتقصى كيفية التوظيف والتشكيل في النص السردى:

1- الذاكرة المكانية:

من الناحية المفاهيمية يمكن أن يشي مفهوم الذاكرة المكانية بأنها الفاعلية القادرة على تمثيل العلاقات المكانية بين الموجودات في حقل بيئي معين سواء بيئة ذهنية مثل الخرائط أو واقعية مثل المدن والشوارع وغيرها، ولعل غاستون باشلار نوه على ذلك مبكراً وهو يعرف المكان بقوله: " المكان الممسوك بوساطة الخيال لن يظل مكاناً محايداً خاضعاً لقياسات وتقييم مساح الأراضي، لقد عيش فيه، لا بشكل وضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، وهو بشكل خاص، في الغالب مركز اجتذاب دائم؛ وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه " (باشلار، 1984، صفحة 179). ومن الناحية الوظيفية تؤدي الذاكرة المكانية دوراً فاعلاً في السلوك الإنساني اليومي إذ يرى الناقد ياسين النصير أن المكان " بدء تدوين التاريخ الإنساني والمكان يعني الارتباط الجذري بفعل الكينونة لأداء الطقوس اليومية للعيش، للوجود لفهم الحقائق الصغيرة، لبناء الروح، للتراكم المعقدة والخفية لصياغة المشروع الإنساني ضمن الأفعال المبهمة " (النصير، إشكالية المكان في النص الأدبي، 1986، الصفحات 395-396) فيعتمد الروائي إلى إحياء ذاكرة المكان ببعديه التاريخي والجغرافي تدريجياً عبر التفاصيل الصغيرة وذكر المسميات الصريحة للإيهام بواقعية الحدث وحفاظاً عليه من الهمد والنسيان.

ومن فضاء التنظير إلى واقع التطبيق نجد " في تلك اللحظات التي توغلت فيها السيارة غرباً، ساقطني ذاكرتي بعيداً فتذكرت بحسرة بعضاً من أيام عمري - غير المأسوف عليها - التي قضيتها في محافظة الأنبار أيام الإزميتي العسكرية، كنت جندياً في إحدى بطاريات الصواريخ، المنتشرة على أطرافها، بعدما أنهيت دراستي الجامعية الأولية، وأنا أقطع تلك المسافات الطويلة بسيارة الإيفا العسكرية، ساعة تضرب في عمق الصحراء، في صيف العراق اللاهب الذي يجلد بقسوة هامتي وهي منزوعة الشعر، صيف أفقدني وسامتي وبياض بشرتي، كنت كل يوم أنقخص بعيني ثكنتي العسكرية، وحجم تلك الأنابيب المنبثقة على ظهور

السيارات العملاقة ، وهي محشوة بالقسوة ، والعنف ، والوحشية ، صواريخ تحلق مسافات شاسعة ؛ لتحليل المكان الذي تسقط فيه إلى مقبرة جماعية " (الهاشمي، 2024، الصفحات 14-15) . يأتي استدعاء ذاكرة المكان في هذا النص بوصفه مرآة عاكسة للخراب والدمار ، ولا يستذكر الأمكنة هنا ليتمتع بها ؛ بل ليواجه عن طريقها الهوية المشوهة التي فرضتها الحرب ، كما يرفض النسيان ويسعى إلى تحويل الألم الشخصي إلى نص إبداعي جمعي.

وفي موضع آخر نجده يركز على الأماكن الشعبية المشهورة عبر الاسترجاعات المتتالية كما في ذكره لـ(كراج العلاوي) في " صباح اليوم التالي التهبت برأسي الذكرى مشوشة ، قبل اختمار قراري وبعده ، أعيتني محاولات هربي منها ، وتجاهلها ، حاولت أن أدعي القدرة على تجاوزها ؛ لكن يبدو أنها قدر أقوى مني وعلي الاعتراف بذلك .

ترجع بالسلامة

قالها لاهنا بائع الماء الذي أحرقت الشمس وجهه... إلى أن أوصلني إلى باب السيارة ، بعدما فشل في إقناع شلة شباب بزيهم العسكري الباهت ، من الذين كانوا ينطرون الباصات وهي تتقاطر على كراج العلاوي بضجر ... ورحت ألعن أولاد الكلب ، الذين جعلونا نتقاذف في دول العالم تمضغنا الغربة على مهل ، وتحيلنا إلى حكايات يتناقلها الناس بذهول بين الحين والآخر " (الهاشمي، 2024، الصفحات 11-12) . يصور الروائي عدم قدرته عن الإفلات من الذاكرة التي بقيت تمده بصور متتالية بوصفها استراتيجية أدبية ونفسية تحاول صهر الواقع بالخيال عن طريق ذكر المسميات الصريحة للإيهام بواقعية الحدث وتقريبه ، فضلا عن تحويل الأمكنة من حيزها الجغرافي إلى الحيز الرمزي النفسي ، فيتجاوز كراج العلاوي وظيفته الخدمية ليكون مكانا ثقافيا تنكشف من خلاله ملامح الخراب عن طريق التقاط الذاكرة لجزيئات هامشية مثل بائع الماء الشاحب ، الزي العسكري الباهت ليتحول بها الروائي إلى إحالات ثقافية تكشف عن فعل الحرب فيقدم الذاكرة بوصفها حالة دفاعية توثق تلك اللحظات الأخيرة للوطن قبل مغادرته إلى المجهول.

تشتغل الذاكرة في رواية يقين المتهات بوصفها استراتيجية أدبية ونفسية واعية تعمل على إيهام واقعية الأحداث عن طريق ضخ المسميات الصريحة ، ومن ثم تعمل على زحزحة هذه المحددات الصريحة من سياقها الجغرافي الصارم إلى السياق الرمزي ، من ذلك ما نجده عندما يتحدث عن منطقة (طريبيل الحدودية) هذا المكان الذي جعله ينتقل من الخوف إلى الأمان بعدما تحول البلد من أمن إلى منتهك " أدركت ساعة تجاوزي سيطرة طريبيل ، قيمة ذلك الثراث الذي زور لي جواز سفري ... وبين لذة الفرحة وغصة الغربة ، صرت أعتذر من وطني وأدفع بأعذاري له دفعا ، عبر الطريق الممتد خلفي ، وأردد مع نفسي :

- ليس انتقاصا منك يا وطني أن أغادرك وأخرج مشوها كطفل غير شرعي بجواز مزيف ، لا أخفيك فقد حرصني الخوف والجوع والبؤس ، استرحمك الآن أن تقبل عذري ، دعني بالله عليك أن أجرب حظي ، فقد أكون أنا النحس الذي تعيشه أنت من دون كل دول العالم ، جد لي العذر فحياتي تكاد تطفح مني وتغادرني للأبد " (الهاشمي، 2024، صفحة 22). لذا نجد إن عملية التقاطبات المكانية قائمة في الأساس على مبدأ التعارض ، الذي يبدو بدوره بصورة جلية عندما يتم الكشف من خلال التقاطبات عن العلاقات التفاعلية بين الإنسان والمكان ، المكان بوصفه الوعاء الحاضن للإنسان في مجتمعه ، حتى يصبح بمثابة المرآة العاكسة لمن يعيش فيه (النصير، الرواية والمكان ، دراسة المكان الروائي، 2010، صفحة 24) الأمر الذي قلب الوطن بعينه من فضاء أليف إلى فضاء معاد .

2- الذاكرة المتشظية :

يعد هذا النوع من الذاكرة من المستويات التي تستعاد فيه التجربة الإنسانية بعيدا عن سياقها المتسلسل بوصفها شذرات حسية ممزوجة ببنية زمنية ، كما تعكس هشاشة السرد إزاء صدمة تتحول بموجبها الهوية إلى بنية مفتوحة على احتمالات متنوعة ، لذا نجد

أن التواصل المتتالي في استدعاء الذاكرة في إطار وصفي تتابعي هو " المحرك الميداني الفعلي للحراك السردى داخل فضاء الحكي والقص ، لا يتوانى فيه الراوي عن التفصيل في كل مفصل ذاكراتي بصرف النظر عن الوظيفة السردية الدقيقة لهذه التفاصيل في التشكيل العام للقصة ، فثمة حاجة نفسية عميقة ، تفرضها الحال الحكائية المهمومة بسحب الذاكرة إلى منطقة الحلم " (عبيد ، 2016 ، صفحة 111) . إن سير الذاكرة بصورة منشطية ما هو إلا انعكاس لنفسية الروائي وشدة تأثير الصدمة عليه ، فضلا عن عكسها لتفتت الذكريات وتداخلها بالحاضر بشكل غير خطي ، فهي كما يرى الدكتور نادر كاظم " ضرب من العمليات التي تدور حول طريقتنا في النظر لأنفسنا وإلى الآخرين ، وطريقتنا في عرض أنفسنا وتقديم الآخرين ، أو استحضارهم كما تصورهم الثقافة التي تمارس التمثيل " (كاظم، 2004، الصفحات 19-20) من ذلك نجد " حينما التفت إلى الوراء مودعا آخر شبر بعيون مشدوهة ، دخلت من حيث لا أشعر بمساحة أجبرتني على استرجاع الذكريات ، أجبرتني على إعادة تركيبها موزعة على خط زمني متعرج ، تتزاحم متمرده بشكل مكرر على نظم الاسترجاع ، فجأة تحولت ذاكرتي إلى كائن مدهش يدس المواقف والأحداث غير مبال بزمناها ، يتوغل بي بعيدا بشراسة الأطفال ، لا يدرك إن كانت تلك الأحداث تسعدني أم تبكييني ؟! " (الهاشمي ، 2024 ، صفحة 34) . يأتي خطاب الذاكرة في هذا النص بوصفه سلطة قهرية لا يمكن الإفلات منها ، مما يجعل فعل التذكر من إرادي إلى لا إرادي يتسم بالتسلط والسيادة ، كما يعكس عدم تسلسل الأحداث والتعدد الماكر وعدم قدرة العقل على ترتيب الأحداث وتنظيمها فالأحداث تدس بعبثية واندفاع جعلته أسيرا لها ، واقعا تحت سيطرتها .

تظهر الذاكرة في النص السردى بقوة لا يمكن إفلات الروائي منها عبر فرض سيطرتها عليه " فليس باستطاعتي فعل شيء غير الإنصات لصوت صفير الذكرى ، وأنا أحزم أمتعتي بشغف طفل مرتبك ، لا يدري ماذا يأخذ ، وعن ماذا يتخلى ، وأتسحب كاللص لنلا أيقظ أمني المستيقظة قبلي أصلا ، متوجسا من ثقل ما ، أدركت أن ثمة شيئا سيغرقني بالوجع لا محالة " (الهاشمي ، 2024 ، الصفحات 10-11) . إن صور الذاكرة في النص السردى لا تسير بخط زمني محدد ، بل تظهر بصورة متناثرة تعكس خراب الذاكرة وتشتتها عبر استرجاع تفاصيل صغيرة تقحم وعي الشخصية وتذكره بالفقد والضياح.

تكتسب تقنية الاسترجاع الزمني في السرد للأحداث الماضية أبعادا نفسية جوهرية تتعدى مجرى السرد ؛ فهي تؤدي وظيفة تطهيرية عند أرسطو . وعن طريقها ، يعيد النص إنتاج المعاناة الإنسانية وما حل به من مأساة للتحرر من شدة وقعها والتخلص من مشاعره السلبية عن طريق الأدب والفن ، بدلا من الكبت . ينظر (عبد، 2025، صفحة 1457). وفي ضوء هذه المقاربة النظرية للاسترجاع ودلالته يظهر لنا المتن الروائي تجسيد حسي تتداخل فيه المشاعر مع الأحاسيس والذكريات ، وهو ما يظهر بقوله "مع مرور الأيام وعلى الرغم من الهمرات التي تجوب الشوارع ، دب في الشوق إلى وطني ، حبل غليظ صرت أحسسه يشدني بقوة عجيبة للعودة إلى مسقط رأسي ومربع طفولتي ، صار كل شيء هناك يشدني بقوة أجهلها ، لكنني أعرف مصدرها ، رائحة أمني ، قبر أبي ، دجلة ، ضفافها ، دكاكين محلتنا ، رائحة شاي الحاج (فعيو) قهقهات رفاق الطفولة ، باحة بيتنا ... صرت مهووسا بكل شيء ، بدت ترسم على وجهي ملامح السعادة التي غادرتني منذ زمن " (الهاشمي ، 2024 ، صفحة 154) . ولأن الذاكرة عملية انتقائية للأحداث نجد ظهورها في هذا النص على شكل صور حسية متعددة ، ترغبه بالعودة إلى بلده ، مما يمنح النص السردى بعدا نفسيا وعاطفيا .

ولا ينفك البطل أن يصف كيفية مباغته الذاكرة له بصورة مستمرة حتي في لحظات الهروب منها " ما إن وطئت قدمي الأراضي الأسترالية لاجئا حتى بدأت كالبلبل مأخوذاً بمن حولي ، وبالحركة السريعة المنتظمة للمارة والسيارات ، للصخب وللوجوه الملونة وهي مشغولة بنفسها ليس إلا ، بدت المدينة مذهلة ، البنايات العالية والشوارع الواسعة ، والإعلانات الضوئية التي تعلو واجهات المحلات ، المعاطف بألوانها الداكنة لرجال ونساء طوال القامة ، تماما مثل ما كنت أراها في أفلام تشارلي تشابلن الصامتة ، بدا كل شيء مختلفا ، يقيني الذي أبحث عنه ، فليس ثمة صور للقائد ولا لوصاياه وشعاراته الفارغة ، من لحظتي تلك تمنيت أن أمحو كل

صورة من الصور التي تحتفظ بها ذاكرتي ، وأحشوها بالصور الملونة لعالمي الجديد ، إلا أن ثمة إحساسين ينازع عاني لحظة التفكير بتعطيل ذاكرتي ، واحد يجذبني للمحو ونسيان الأمي ، والآخر يشدني بقوة لأوجاعي التي تركتها خلف ظهري " (الهاشمي، 2024، الصفحات 131-132) . يصور النص شدة تأثير الذاكرة على الفرد وبيان مقدرة الروائي على وصف ما عاشه بقلب سردي وصفي ، فضلا عن المزج بين الحقيقة والخيال.

3- ثنائية (النسيان / التذكر) :

لا ينظر إلى الذاكرة على وفق ثنائية النسيان والتذكر كعملية استعادة بريئة ، إنما هي لا تخلو من أن تكون عملية إنتقائية تخضع كما يطلق عليه اليوم (اقتصاد الذاكرة) فالمجتمعات بشكل عام باتت لا تود تذكر كل شيء ، بل تختار ما يستحق البقاء ، وذلك ما أشار إليه بول ريكور في دراسته التي انطلق فيها من مستويين ماذا نتذكر ؟ ومن نتذكر ؟ فهو في هذا الطرح ربط الذاكرة بالتاريخ والنسيان ، لا سيما عندما تحاصر الذاكرة بخطط خبيثة تراهن على النسيان لأنه يرتبط بالاعتراف والعدالة (ريكور، 2009، الصفحات 567-568).

استعان الروائي بتفعيل الخطاب الاسترجاعي واللجوء إلى الذاكرة عن طريق الاستحضار المكثف للماضي ، فعمد على توظيف التقنية الزمنية التي يحتفي النص الأدبي بها عن طريق ترك " مستوى القصة الأول ليعود إلى بعض الأحداث الماضية ويرويها لاحقة لحدوثها " (قاسم، 1985، صفحة 40) . لذا نجد إن فعل التذكر لا يبرح يفارقه حتى وإن ترك بلده ، فنجد إنه " كلما اقتربنا من العاصمة عمان ، حاولت أن أوقف ذلك الكائن من مدامتي بذكريات أكثر ، فاشتبكت مع الرجل الذي بجانبني بحديث فتسلل بنا إلى حكاية أكثر ألما من حكايتي ، ساقها صاحبها بأسلوب شيق ، بعد أن كنت أبحث عنه للخلاص من ذاكرتي لأكون مشغولا بحكايات لا أكون طرفا فيها سوى أنني مستمع " (الهاشمي، 2024، صفحة 40). يصور النص لحظة وصول الفرد إلى أقصى لحظات التعب من التذكر ، مما يدفع السارد لممارسة المقاومة والهروب من ذاكرته الذاتية والاشتباك مع حكايات الآخرين كآلية دفاعية سعيها منه لترميم شظايا ذاته المغتربة . وهذا يؤكد على أنه دائما " خاضعا لسطوة الذاكرة وجبروتها ، واختياراتها الخاضعة إلى منطق سيكولوجي بالدرجة الأولى ، مما يضطره إلى ملأ فراغاتها عن طريق التخيل الاسترجاعي كعملية ذهنية تتولد عنها الصور ، وقد تنشأ هذه الصور الذهنية عن عملية استرجاع الإحساسات في حالة غيبة الأشياء التي استثارت هذه الإحساسات " (شطاح، عبد الله، 2014، صفحة 17) . ويستمر في استرجاعاته وتذكره لبلده " لا أعلم ما الذي دفعني لأسترجع رواية موسم الهجرة للشمال ، وبطلها مصطفى سعيد ، لأجند نفسي جنديا أذاع عن وطني بطريقتي الخاصة ، وأسترد حقي كاملا ، صرت أمني نفسي مثلما كان يمني نفسه مراد ساعة غادر البلد ، قررت أن أخوض معركة في بلاد الغربة ، أنصف فيها الأرامل والثكالي والشهداء ، قررت في لحظة جنونية بعدما جمعنا ساعات طويلة أن أصب غضبي وأبصق في وجه ذلك المحارب الذي عبر المحيطات ليقول شعبي وينهب خيراته ، كنت مصرا أن تكون صورته ثالثتنا في الغرفة التي تعلمني فيها اللغة الأسترالية ، حتى يبصر طقوس عبثي وطيشي وأنا أسترد حقوقي بشكل مفترط " (الهاشمي، 2024، صفحة 138). جاء الاسترجاع هنا بوصفه فعل مقاومة وإعادة بناء الهوية ، والبحث عن العدالة التي فقدت ومحاولة تطبيقها في بلاد الغربة تعويضا عن سلبها في الوطن . لذا فإنه قد يصعب على الفرد التخلص من ذاكرته " لأنها بمقدار ما تبدو في لحظات معينة جميلة فأنها موجهة . خاصة وهي تحمل معها هذا الكم الكبير من الشجن على أيام كانت ثم مضت إلى الأبد . كما تجر معها أشياء يفترض الإنسان إنها انتهت وأنه تجاوزها ، لكن وهي تعود هكذا حاملة معها الاصوات والإشارات وروائح الأمكنة والأجساد والكلمات يولد من جديد الحنين المجهول بالأسى والرغبة في أن تعود الأشياء كما

كانت في يوم من الأيام " (شحيد، 2011، صفحة 5) . فيبقى الفرد عالقا بين ثنائية نسيان الأم الماضي وشدة قسوته ، وبين سطوة الذاكرة عليه التي تفرض نفسها بقوة لا يمكن الإفلات منها.

وفي حديثه لزميله (مراد) عن أيام السجن والتعذيب التي تمنى نسيانها نجده يقول " نسمات الحرية هذه كانت أمنيّتي لم أتصور في يوم من الأيام أن تتحقق ، وأعود شمها من جديد ، بعدما امتلأت رنتاي بالروائح العفنة في زنانات دوائر الأمن ، لا أعلم كيف استطعت الثبات والبقاء على قيد الحياة ، كانت روعي كل يوم يختلجها الموت ... فعلى ما يبدو بالفعل قد تصدأ الذاكرة وتنش عليها الطحالب من هول ما تقاسيه ، فربما يكون التعذيب ذهب ببعض ذاكرته كحلم يفيض بالصحو " (الهاشمي، 2024، الصفحات 48-49) . إن استرجاع الأحداث الأكثر شدة وإيلاما على نفسية الروائي لا يمكن أن يكون اعتباطا ، وإنما كان ناتجا عن انكسار الشخصية حتى أصبح استرجاعها عملية مؤلمة وقاسية حفرت في نفسه وجعا لا يزول .

وعندما مارس (نوح) مهنة التعليم في المنفى ظل يسترجع ذاكرة المدرسة في بلده ، فعندما " كان يدنو من سكانها من الطلبة بتودده وهو يسمع كلامهم ، يفهم كلمة وتتعدّر عليه عشرات منها ، يضحكون وسع دهشتهم وهم يسمعون اللهجة العراقية التي يتكلم بها نوح ورفاقه من العراقيين ، كانت أعمار الطلبة في المدرسة تعيد له دفء أيامه ، يستجلي من خلالها ملامح زمن مرّ سريعا ، وصار يسد فواتير تلك اللحظات بساعات باهظة من الغربة والوحدة " (الهاشمي، 2024، الصفحات 53-54). تقتحم الذاكرة وعي البطل لتعيد له دفء الحنين لبلده عبر التفاصيل البسيطة ، كما جاءت كوسيلة لاستعادة الأمان والحب المفقود من ماضيه ؛ وبذلك خلقت له متاهة نفسية يصعب عليه الخروج والإفلات منها.

4- الذاكرة الجمعية وتاريخ القمع :

في الوقت الذي يتسارع فيه الزمن تبرز الذاكرة الجمعية بوصفها العقل المشترك التي تحمل تاريخ بلد بأكمله فضلا عن التصورات والسرديات المشتركة بين أفرادها ، تؤكد أسمان أليدا بأن الذاكرة الجمعية " ليست ثابتة ، بل ديناميكية تتغير بتغير السياقات الاجتماعية والثقافية ، وتخضع باستمرار لعمليات إعادة بناء ونسيان وتذكر جماعي " (أسمان، 2013، صفحة 22). كما تخضع هذه الذاكرة لعمليات انتقاء وانتخاب الأحداث إذ " تستدعي بعض الأحداث وتهمل أخرى ، ما يجعلها أداة لصياغة الهوية الجماعية وتثبيت القيم المشتركة " (هالبواكس، 2012، الصفحات 48-49) ومما يؤكد انتقائية الذاكرة هو إن " الاشتغال على الذاكرة في النص الروائي ، لا يعني استنساخ المرجع الواقعي بحرفيته ، لأن الذاكرة بالأساس ليست سوى عملية انتقائية وتأويلية ، والارتكاز على الذات في هذه الكتابات ، يستبطن جدلا بين الأنا والآخر والداخل والخارج والذاتي والموضوعي ، ولا تعني قوة الإحالة المرجعية في هذه الكتابات المنعدمة الصلة بالتخييل فكثيرا ما اكتسبت ذات المؤلف أبعادا نفسية ورمزية تنشأ داخل فعل الكتابة ، وكثيرا ما اتسمت وقائع حياته بسمات تخيلية لم تكن لها في الواقع المرجعي التاريخي ذلك أن الكتابة وإن جعلت همها الأول التعريف بالذات وسرد قصة حياتها ، هي دائما خلق للذات وانبعث لها جديد ، وتتجلى قوة الإحالة المرجعية في ضمير المتكلم (أنا) المرتبط عادة بالذاكرة الذاتية " (طبيش، 2019، صفحة 127). من ذلك نجد حديث الروائي عن المقابر الجماعية وما أحدثته من ألم في نفوس أفراد الشعب " في محاولات بحثي عن جثة أحد الأصدقاء وأنا أشارك ذويهم في المقابر الجماعية جمعتني الصدفة بعجوزين في مقبرة جماعية ، وأخذت أنصت لأسرار الوجع السومري ، من دون كل التكاليف في تلك المقبرة ، كان لهاتهما وقورا يصوغ أغنية حزينة وهما يبحثان عن رفات ابنهما المدفون هو وأصحاب هذه العظام المتداخلة مع بعضها ، عادا للبحث من جديد ، بعدما أحسا بعجز صغيرهما عن مواصلة النباش والتنقيب ، أنا من جهتي تركت النباش بضع لحظات ، وصرت مأخوذا بفرحتهما وهما يتمنان جمع العظام بعد ساعتين من النباش الحذر ، فيما راحت الأم ترفع إلى السماء بكفيها جمجمة مثقوبة من هامتها وتشكو

حزنها لربها مبهوتة من حجم الثقب الذي يتوسط رأس ابنها ، بعدما تخلت عن عصاها التي تتوكأ عليها وهوت على كومة العظام تحتضنها ، وتركل ما تبقى لها من عمر لتموت على عظام ابنها في هذا العراء الفسيح من دون أن تكثر لتتشبث زوجها العجوز بأطراف فوطتها " (الهاشمي، 2024، صفحة 157) . عبر هذا النص السردي نجد أن السارد لا يعيش حالة شخصية فردية وإنما ينسج نسجاً سردياً جمعياً يربط مصيره الشخصي بالمصير الوطني ، وبذلك تتحول الرواية إلى شاهد فني على التغييرات والمآسي التي عصفت بوطنه حتى تحولت ذاكرته المغتربة إلى وعاء محمل بعبء التاريخ. لذا لجأ الروائي إلى الاستعانة بالذاكرة الجمعية وتاريخ أحداث العراق في زمن الطاغية لما لها من وقع مرير في نفوس أبناءه وجعلها أداة لمواجهة النسيان وحفظاً للذاكرة وتحدياً " لشتى الخيبات السياسية والمكبوتات الأيديولوجية " (رابحي، 2016، صفحة 21) . كما يسترجع الروائي التهجير القسري للعوائل المسيحية " حتى وقت متأخر وأنا أنقب عن بعض ما يشغلني ويهز تفكيري ، كانت ثمة أشياء لا يمكنني تخطيها من دون الوقوف عندها ؛ لأتلمس حقيقتها وأشبع فضولي الحار ، ومن بين تلك الأشياء حكايات الجلاء القسري للعوائل الفيلية جيراننا والمأساة التي مروا بها ، لفترة طويلة بقيت لا أعلم ما الذي دفع والدي والديتي ودفع من يكبرني عمراً لأن يخفوا عنا خبر اختفاء عائلة الحاجة أم لقمان عن محلتنا؟! ولا أعلم أيضاً ما سبب ذلك البغض للعائلة التي حلت بدلا منهم؟! " (الهاشمي، 2024، صفحة 66) . إن سرد هذه التفاصيل وحكايات التهجير القسري ما هو إلا إعادة بناء التاريخ ، فضلاً عن الإدانة الثقافية للسلطات الحاكمة ، كما تكشف كيف يتم التلاعب بمصير الأقليات وسلبهم حقوق المواطنة . ولأن الذاكرة تتطلب من الروائي " أن يكون تاريخ الفكرة أو الحقيقة التي تفكر بها راجعاً للماضي دون ليس " (وريوك، 2017، صفحة 97) لذا جاءت هذه الرواية مسترجعة لزمن الطاغية وما آلت إليه الأوضاع من سيء إلى أسوأ . وفي موضع آخر نجده " طوال الوقت الذي ننتظر فيه قدوم سفينة جلالنا كنت مأخوذاً باسترجاع لحظات من عمري في العراق بشكل منقطع ، كنت بالفعل مملوءاً بالدهشة ، خمسة أشخاص ودجاجة قامت الدنيا ولم تقعد في أستراليا لإنقاذهم من أمواج المحيط الهادئة ، في حين لا قيمة لشعب كامل تنهشه الحروب من جهة ويسحقه البؤس والحصار من جهة أخرى ، وأشياء أخرى من جهة ثالثة لا يتسع المقام الآن للتفكير فيها " (الهاشمي، 2024، صفحة 126) . يعد هذا النص الروائي بمثابة وثيقة إدانة للأنظمة الحاكمة ، وتلاشي قيمة الإنسان لديهم فيتحول النص من مجرد ذكرى عابرة إلى فعل مقاومة . وتتوالى عليه صور تسلط النظام الحاكم وقسوته وبطشه بأبناء الشعب " يا رباه متى أتخلص من تلك العقدة التي لوثت كل ظني بأولئك الذين يديرون الدوائر الحكومية ، وزيف الكثير منهم وهم يدعون النزاهة ويقظة الإحساس والضمير؟! لا تزال مخيلتي تحتفظ بصورة ذاك (النائب ضابط) الذي تومض نجماته على ياقة قميصه وأنا أرقبه من خلف شباك دائرة التجنيد ، كانت كلماته تكويني كلطي تموز التي جعلتني قبالة في ساعتي تلك ، كنت أود لو أبصق عليه بعدد النقرات التي ينقرها بأصابعه بمهارة على آلتة الطباعة ، وأنا أرى بألم عيني كيف يقبض الرشاوى من مراجعيه " (الهاشمي، 2024، صفحة 51) . فعلى الرغم من خروجه من بلده الذي تحول إلى مكان معاد له ، سالب للحريات ، لم تخرج صور تسلط النظام وبطشه من مخيلته ، إذ بقيت تلاحقه مزعزعة لاستقراره النفسي ، مما جعل غربته متاهة أخرى مكملة لما بدء في وطنه ، فالندوب التي خلفتها الأجهزة الأمنية لا يمكن محوها من الذاكرة ، ولا تشفيها المسافات مهما طالت أو بعدت .

الخاتمة :

1 - لقد كشف هذا البحث أن ارتداد الرواية نحو الماضي وأحداثه عبر اليات الذاكرة ما هو إلا محاولة واعية من قبل الروائي لتفكيك الواقع المأزوم ومواجهة تصدعاته.

- 2- إن لجوء الروائي إلى الذاكرة كان بمثابة أرشفة الأحداث ؛ للحفاظ عليها من الضياع والنسيان .
- 3- لم تخل هذه الاسترجاعات المتكررة من دلالات متعددة ، وكل دلالة قادرة على تأنيث المعنى في ذهن المتلقي بما يلائم تجربته الشعورية
- 4- لم تقف ذاكرة المكان عند حدود الوصف فقط ، وإنما استحضرت التاريخ الحقيقي للمكان ، فضلا عن التأكيد على التقاطعات المكانية وشدة تأثيرها في المعنى السردي.
- 5- عملت الذاكرة الجمعية على ترميم الشظايا النفسية للشخصيات ، بوصفها الطريقة التي يتذكر بها الأفراد تاريخهم عن طريق السرديات المشتركة بينهم ، ونقل التجارب وربط الحاضر بالماضي.
- 6- وظف الروائي ثنائية (التذكر/النسيان) لاستحضار الماضي بثقله وآلامه ، بينما جاء النسيان كوسيلة دفاعية يعمل على التخفيف من شدته بصورة فنية عالية لا تقطع مجرى الأحداث بمقدار ما تعمل على شدة وتنظيمه

1. المراجع

- أليدا أسمان. (2013). *الذاكرة الجماعية والهوية*. بيروت : دار جداول .
- بول ريكور. (2009). *الذاكرة ، التاريخ ، النسيان* (المجلد 1). (جورج زيناتي، المترجمون) دار الكتاب الجديد.
- جمال شحيد. (2011). *الذاكرة في الرواية العربية المعاصرة* (المجلد 1). بيروت - لبنان: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- جويل كاندو. (2009). *الذاكرة والهوية*. سوريا: منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب.
- حسين حاتم عبد. (1 4, 2025). زمن الخطاب الروائي بين البنية والدلالة في رواية الأزمان المظلمة لطالب عمران. *مجلة لاراك* [doi:https://doi.org/10.31185/lark.3888](https://doi.org/10.31185/lark.3888)
- حنينة طيبش. (2019). اشتغال الذاكرة في الخطابة النسائية . *مجلة إشكالات في الخطابة النسائية* ، صفحة مجلد 8 عدد 2 .
- د.نادر كاظم. (2004). *تمثيلات الآخر ، صورة السرد في المتخيل العربي الوسيط*. بيروت - لبنان: مطبعة سيكو المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- سيزا قاسم. (1985). *بناء الرواية*. بيروت: دار التنوير.
- شطاح, عبد الله. (أكتوبر, 2014). خطابات الذاكرة رهانات التخيل والتجنيس. *مجلة المدونة*.
- عبد القادر رابحي. (2016). *أبيولوجية الرواية والكسر التاريخي* . الجزائر : منشورات الوطن اليوم.
- غاستون باشلار. (1984). *جماليات المكان* (المجلد 2). (غالب هلساء، المترجمون) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- كريم الهاشمي. (2024). *يقين المتاهات* (المجلد 1). السماوة: مكتبة الياسمين للطباعة والنشر والتوزيع.
- محمد صابر عبيد. (2016). *جل الذاكرة والمتخيل مقارنة في سرديات صبري يوسف*. المملكة الهاشمية الأردنية: دار غيداء للنشر والتوزيع.

- موريس هالبواكس. (2012). *الأطر الاجتماعية للذاكرة*. (سعيد بنكراد، المترجمون) الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي.
- ميري وريوك. (2017). *الذاكرة في الفلسفة والأدب* (المجلد 1). (فلاح رحيم، المترجمون) لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة .
- ياسين النصير. (1986). *إشكالية المكان في النص الأدبي* (المجلد 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
- ياسين النصير. (2010). *الرواية والمكان ، دراسة المكان الروائي*. دمشق ، سوريا : دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع.

2. References

3. Assmann, Allida (2013). *Collective Memory and Identity*. Beirut: Dar Jadawil.
4. Ricour, Poul. (2009). *Memory, History, Forgetting (Vol. 1)*. (George Zinati, Trans.). Dar al-Kitab al-Jadeed.
5. Shihaid, Jamal (2011). *Memory in the Contemporary Arabic Novel (Vol. 1)*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing.
6. Candau, Jwail (2009). *Memory and Identity*. Syria: Publications of the Syrian General Organization of Books.
7. Abd, Hussein Hatim (January 4, 2025). The time of novelistic discourse between structure and significance in Talib Imran's novel 'The Dark Times'. *Lark Journal*.
8. <https://doi.org/10.31185/lark.3888>
9. Tabish, Hunaina (2019). The operation of memory in women's rhetoric. *Journal of Issues in Women's Rhetoric*, Vol. 8, No. 2.
10. Khadhim, Nadir (2004). *Representations of the Other: The Image of Narrative in the Medieval Arabic Imaginary*. Beirut: Arab Institute for Research and Publishing.
11. Qasim, Siza (1985). *The Construction of the Novel*. Beirut: Dar al-Tanweer.
12. Shattah, Abullah (October, 2014). Discourses of memory: Stakes of imagination and genrizatio]. *Majallat al-Mudawwanah*.
13. Rabhi, Abd Al-qadir (2016). *The Ideology of the Novel and Historical Ruptur*. Algeria: Al-Watan Al-Youm Publications.
14. Bachelar, Ghastoun (1984). *The Poetics of Space (Vol. 2)*. (Ghalib Halasa, Trans.). The University Press for Studies, Publishing and Distribution.
15. Al-Hashimi, Kareem (2024). *Certainty of the Labyrinths (Vol. 1)*. Al-Samawah: Al-Yasmeen Library for Printing, Publishing and Distribution.
16. Obeid, Muhammed Sabir (2016). *The Dialectic of Memory and the Imaginary: An Approach to the Narratives of Sabri Youssef*. Jordan: Dar Ghaida for Publishing and Distribution.

17. Halbwachs, Morees (2012). **The Social Frameworks of Memory** . (Saeed Bengrad, Trans.). Casablanca: Arab Cultural Center.
18. Warnock, Merry (2017). **Memory in Philosophy and Literature (Vol. 1)**. (Falah Rahim, Trans.). Lebanon: United New Book House.
19. Al-Nusseir, Yassameen (1986). **The Problematic of Space in the Literary Text (Vol. 1)**. Baghdad: The House of General Cultural Affairs.
20. Al-Nusseir, Yassameen (2010). **The Novel and Space: A Study of Novelistic Space**. Damascus: Ninawa House for Studies, Publishing and Distribution.